

البوصلة الإماراتية نحو قارة أفريقيا المنسية



محمد خلفان الصوافي
كاتب إماراتي

الاستراتيجية للقارة السمراء واستيعابا لحقيقة أن بعض الخلافات العربية - الأفريقية سببها انقطاع عن القارة.

ومع أن اهتمام دولة الإمارات بالقارة الأفريقية ليس جديداً، خاصة في المجال التنموي، حيث حازت القارة الأفريقية بالنصيب الأكبر من دعم صندوق أبوظبي للتنمية، كما أن الإمارات عززت وجودها في القرن الأفريقي خلال الفترة الأخيرة، إضافة إلى أن شركة موانئ دبي العالمية هي من بيدر ميناء جيبوتي على البحر الأحمر. هذا إلى جانب الاستثمارات الأخرى على مستوى رجال الأعمال الإماراتيين.

هذا الاتجاه الجديد بدأ يأخذ مساراً ضمن سياسة "المرحلة الأفريقية"، وهي الاستراتيجية التي تنتهجها الإمارات في التركيز على الانفتاح على العالم، فقد سبق الاهتمام بقارة أفريقيا تكوين علاقات استراتيجية مع دول آسيوية وفي مقدمتها الصين والهند، ثم انتقل العمل للتركيز على إقامة علاقات مع دولة إسرائيل، وهذه هي طريقة الدول العربية في التخطيط لعلاقتها الخارجية، أو تلك التي تسعى لصناعة صداقات مع كافة دول العالم، فهي أدوات التأثير الجديدة. أهداف الإمارات في أفريقيا خليط من علاقات تجارية وإنسانية، بعيدة كل البعد عن المزاخمة في النفوذ أو الاستحواذ على ثروات القارة، بل هي تسعى من أجل التوصل إلى علاقة فعالة نوع من التالف السياسي، ليكون مدخلا لحلحلة بعض الخلافات والاختلافات السياسية. وهذا لا يمنع من وجود نوع من التكاملاً الاقتصادي والعسكري من أجل مواجهة التحديات الإرهابية والتطرف، وصد بعض الأطماع السياسية لدول تهدف لتطويق العرب مثل تركيا وإيران. وما يميز الإمارات عن غيرها من دول العالم أنها يمكن أن تكون عامل ربط بين آسيا وأفريقيا فهي تستند إلى صلات تاريخية وجغرافية تربط القارتين وتؤهلها لأن تكون بوابة بين القارتين، وهي مكانة لا يملكها الكثيرون.

قد يرى البعض أن التوجه الإماراتي الجديد نحو أفريقيا جاء متأخراً نظراً لما لدولة الإمارات من مكانة في القارة الأفريقية بسبب مبادراتها الإنسانية، ونتيجة لتواجد بعض الاستثمارات الإماراتية هناك، بالإضافة إلى العلاقات مع جنوب أفريقيا في المجال العسكري والتجاري. وإذا نظرنا إلى هذا التقدير نجد أنه لا يقتصر على الإمارات فقط، بل يشمل العرب جميعاً، ولكن ما يميز التحرك الإماراتي أنه مبني وفق خطة ورؤية في الانفتاح تسير وفق مراحل مدروسة.

وعليه من المتوقع أن تكون القفزة الإماراتية الدبلوماسية الحالية باتجاه أفريقيا كبيرة، وخطوتها في شمولية مجالات التعاون واسعة، ويتمثل كل ذلك في الشخصية التي تعمل على تطوير هذه العلاقات وهو الشيخ شخبوط بن نهيان بن مبارك آل نهيان، الذي شغل منصب سفير دولة الإمارات لدى السعودية في لحظة مهمة من تاريخ العلاقات بين البلدين حيث الحرب ضد ميليشيات الحوثي المدعومة من إيران، والتي بينت أهمية القارة الأفريقية والممرات الدولية الموجودة فيها خاصة دول القرن الأفريقي في مجال الدعم اللوجستي ومحاصرة التمرد الإيراني والتركي الساعي لتطويق الدول العربية من هناك.

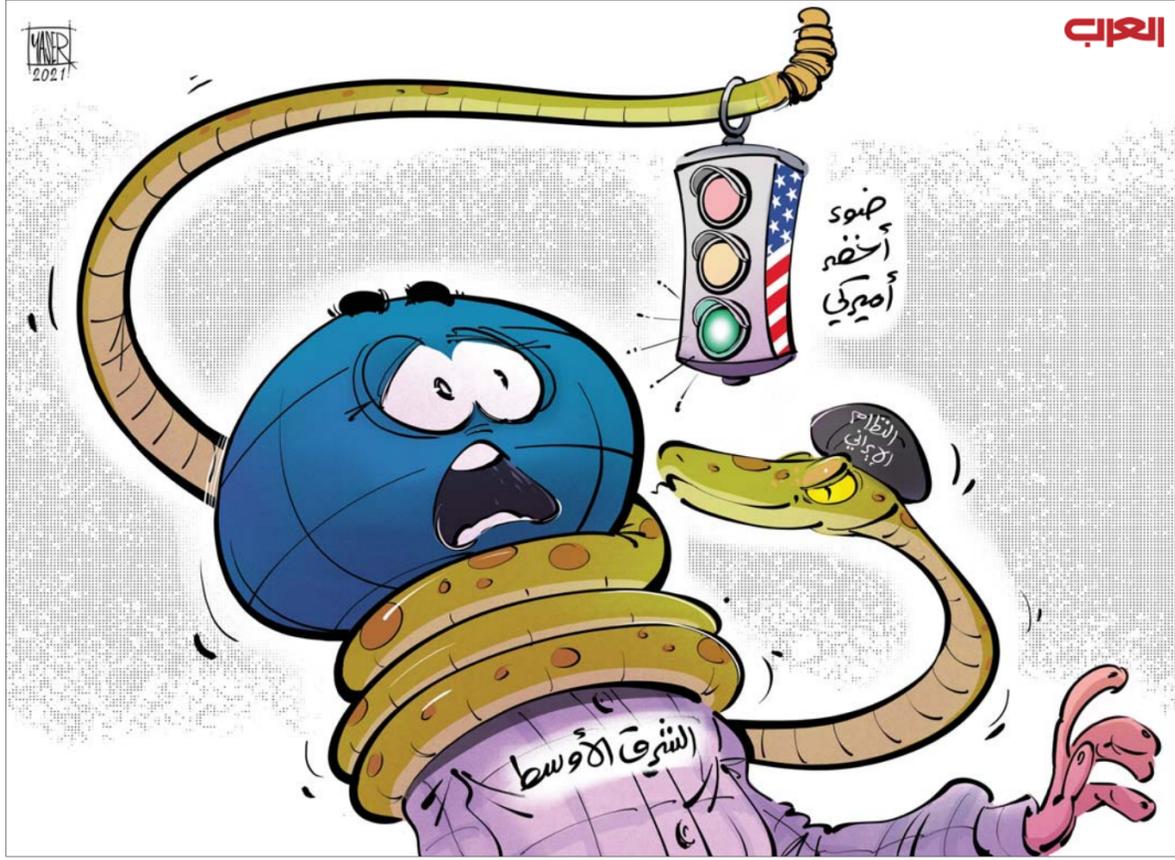
لو أردنا أن نبحث عن الأسباب التي دفعت الإمارات للاتجاه إلى القارة الأفريقية وبهذه القوة والحماسة سنجد في التوقيت، فالأمر كما يبدو مخطط له مسبقاً، وعلينا أن ندرك أن الاستراتيجية الإماراتية دائماً تتبنى وفق نظرية المحيط الأزرق القائمة على البحث عن طريق ثالث بعيداً عن التنافس والصراعات، لأن بذلك يمكنها من تحقيق مكاسب بهدوء وفائدة قد تكون أكبر.

إذا ما ركزنا على النشاط الدبلوماسي الإماراتي عموماً، نجد أن هناك توسعاً في الانفتاح على كافة دول العالم وفي كل الاتجاهات، وأخر تلك الاتجاهات كانت أفريقيا. وذلك بهدف خلق وتوثيق علاقات دبلوماسية وتجارية وإنسانية بعد أن أصبحت قارة "منسية" لكل الدول العربية، بما فيها تلك التي ارتبط بعضها بعلاقات تاريخية وحضارية معها، والبعض الآخر الذي تربطه معها علاقات الجوار الجغرافي، وبالتالي المصالح المشتركة، لدرجة أن هذا "النسيان" أو القطيعة جعلاً من الصعب إيجاد آلية تفاهم عربي أفريقي بيئي، رغم حجم التداخل بينهما، دون اللجوء إلى المنظمة الدولية لإيجاد حل لخلافاتها. اليوم، نستطيع أن نشير إلى أن العلاقات الإماراتية - الأفريقية مرشحة لأن تحتل موقعاً مهماً ضمن ملف إدارة دولة الإمارات لعلاقتها الخارجية خلال الفترة المقبلة، بعد أن مهدت سبل الاتصال مع بعض تلك الدول، وبعد أن أظهرت دول أفريقية ترحيبها بالمبادرة الإماراتية. فالجولة التي قام بها الشيخ شخبوط بن نهيان بن مبارك آل نهيان، وزير دولة، مؤخراً وشملت 16 دولة، بعضها تم اقتراضها، والتقى خلالها بعدد من رؤساء الدول الأفريقية منهم رئيسة تنزانيا سامية صلوحى ورئيس زامبيا إدغار لونغو، كشفت عن أن البوصلة الدبلوماسية الإماراتية تتجه نحو الاهتمام بالقارة المنسية عربياً.

إذا كان التركيز على الاستثمار في آسيا والغرب يرجع لكونها مجتمعات أكثر استقراراً فإن الاتجاه نحو أفريقيا للتواجد يعكس وعياً استراتيجياً خاصة أنها محل تنافس من دول العالم

تتغير قراءة التوجهات الدبلوماسية لأي دولة في العالم شيئاً فشيئاً. الأول، نشاط الدولة ضمن النظام العالمي وإزدهارها الدبلوماسي الذي تعيشه، وفي الحالة الإماراتية يمكننا رصد العديد من الأنشطة التي توافقت خلال فترة واحدة، وهي زيارة أنور قرقاش المستشار الدبلوماسي لرئيس الإمارات إلى الولايات المتحدة ولفاؤه بعدد من المسؤولين هناك، وكذلك افتتاح السفارة الإماراتية في العاصمة الإسرائيلية تل أبيب، ما يعني أنها شهدت حالة من الحراك الدولي من شأنه أن يؤثر على المسار الدبلوماسي إيجابياً خلال تواجد الإمارات في مجلس الأمن الدولي، والشئ الثاني، أن طموحات الدبلوماسية الإماراتية تعدت دوائرها الاستراتيجية، حيث كانت تركز على إقليمها، وهو الدائرة الخليجية والعربية، ثم الآسيوية وبعدها الدولية، وبدأت تخلق دبلوماسية متعددة الأطراف بتوجيه وصلتها نحو أفريقيا التي رغم أنها ترتبط بالعرب تاريخياً وحضارياً وإنسانياً، إلا أن الإمارات هي من كسر هذه المرة الشكل النمطي العربي في التعامل مع قارة أفريقيا، التي تزخر بالكثير من المواد الأولية وفرص الاستثمارات.

إذا كان التركيز على الاستثمار في آسيا والغرب يرجع لكونها مجتمعات أكثر استقراراً، على الأقل من الناحية السياسية، فإن الاتجاه نحو أفريقيا للتواجد يعكس وعياً استراتيجياً، خاصة أنها محل تنافس العديد من دول العالم، وبالتالي من المهم البدء في مد الجسور معها إدراكاً للأبعاد



بقاء نظام طهران مسؤولية أميركية

تزامناً مع الزيارة المرتقبة لرئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي إلى واشنطن، ليبحث فقرة الانسحاب المبرمج للقوات الأميركية، بينما تسرب التقارير الإخبارية الساخنة أن النظام غير موافق على تصعيد الميليشيات هجماتها ضد المواقع الأميركية في العراق. مع ذلك يتوعد الرئيس بايدن في خطاب طهران وينوئس إليهم لمواصلة مفاوضات فيينا. بايدن أكثر مسؤول أميركي لديه وثائق حول ملف سياسات النظام الإيراني في العراق، حيث انتهكت ميليشياته القيم والأعراف وقتلت الشباب ونهبت البيوت والأراضي، وسرقت أموال العراق، ووصلت الحماقة بالنظام الإيراني إلى استهداف القواعد العسكرية والمصالح الأميركية في العراق. لا يتوقع العراقيون مساندة جو بايدن لهم بعد تخليه عن المصالح الأميركية العليا، وهو لن يتردد في تلبية مطالب نظام خامنئي بالانسحاب من العراق.

توهم رئيس النظام الإيراني خامنئي أنه عبر عمليات موضعية بغسل أدمغة مجموعة قليلة من شيعة جنوبي العراق لمواالته فزانت مع تسليم الإدرات الأميركية حكم العراق لطهران أنه انتقل إلى موقع المؤثر والفاعل في العالم مثله مثل تنظيم القاعدة الذي تمرد على ولاة الأمر الأميركيان. لكن المفاجأة في العراق كانت تمرّد الشباب الشيعي على أحزاب السلطة وميليشياتها التي تنفذ مشروع إرباك القوات الأميركية بسلاح متخلف. إنشاعة الفوضى والتخريب لا تحتاج إلى خبرات عالية، بل هي أحط مستويات السياسة، وقريبة إلى أفعال العصابات والمافيات. لعل العراقيين وغيرهم أشقاؤهم في المنطقة يتساءلون هل حقيقة أن الولايات المتحدة، بما تملكه من قدرات سياسية تضعها في المرتبة الأولى في العالم، لا تستطيع تقليص نفوذ نظام يشيع الفوضى والدمار في العراق والمنطقة، أم أنها سياسة مدروسة، والغرض منها تسليم مهمات التفيت وتفتيك الشعب لأنظمة على طراز النظام الإيراني.

لو صدق سياسة الولايات المتحدة مع مبادئ قاداتهم الأوائل كجورج واشنطن وروزفلت وأبراهام لينكون وترفعوا عن مستنقع السياسات النفعية قصيرة المدى لوقفوا إلى جانب شعوب العراق وسوريا ولبنان واليمن، وواجهوا نظام الملاهي في طهران الذي وصفوه قبل عقدين من الزمن بالنظام المارق، إلا إذا كان هذا الوصف قد أصبح يعني الخادم للمصالح.

مع ذلك فالشعوب في القرن الحادي والعشرين عليها الاعتماد على نفسها فقط لاستمرار في الحياة.

بن لادن سمحت لقادة القاعدة بالاختباء في أراضيها. وعلق وزير الخارجية الأميركي السابق مايك بومبيو على هذه المعلومات، مؤكداً أن إيران هي المقر الرئيسي لعمليات القاعدة الإرهابية العالمية، كما رأى أن تلك العمليات تنفذ بموافقة من النظام في طهران. أول تقرير للاستخبارات الأميركية في عهد بايدن المعروف باسم "تقييم التهديد السنوي" حول إيران يؤكد أنها التهديد الرئيسي لمصالح الولايات المتحدة والدول الحليفة في الشرق الأوسط، وكشف أن إيران تملك مخزوناً ضخماً من اليورانيوم وأن طهران تركز جهودها على تعزيز قدرات وكلائها لتهديد حلفاء واشنطن، مؤكداً أن الاستراتيجية الإيرانية تهدف إلى ضمان بقاء النظام وتحقيق الهيمنة الإقليمية. الزيارات المكثفة لقادة المخابرات والاستخبارات في الحرس الثوري إلى بغداد يرشح من أخبارها أن المسؤولين حملوا رسالة شديدة اللهجة من الإمام خامنئي لتطبيق سياسة حافة الهاوية، بتشديد الضربات على المواقع الأميركية في العراق.

يحاول نظام طهران التشبث بالوصول إلى بعض مفاصل التقنيات الإلكترونية لإشعار الأميركيين أنه موجود في الساحة عبر تجنيد عدد من الطلبة الإيرانيين في الولايات المتحدة لتنظيم حملات إلكترونية استهدفت بعض المواقع الرسمية الأميركية وحلفائها.

في سبتمبر الماضي تم توجيه لائحة اتهام إلى ثلاثة متسللين إيرانيين لسرقة معلومات مهمة حول تكنولوجيا الفضاء الجوي والأقمار الصناعية الأميركية. لقد استهدفوا العديد من الشركات داخل الولايات المتحدة وخارجها ونجحوا في اختراق الشبكات وسرقة معلومات حساسة. الرئيس الأميركي بايدن لديه ملفات النظام الإيراني في دعم القاعدة حيث ما زال قسم كبير من قادتها يحظون برعاية حكوم طهران ويديرون عمليات التنظيم الإرهابي من هناك، كما أن أيمن الظواهري ما زال محتبناً داخل الأراضي الإيرانية. كتبت الصحافية الأميركية باربرا ستار في تغريدة على تويتر أنه من غير الممكن تجاهل ما يجري، مضيفة أن طهران وبعد 10 سنوات على مقتل أسامة

التطور البشري الجديد في الحروب الإلكترونية والمعلوماتية. تتحمل إدراة بوش وأوباما المسؤولية التاريخية في استمرار حياة نظام خامنئي ورعايته وتمده في العراق بالطريقة التي أغلق فيها منافذ الحياة عن شعبه. لكن إدارة بايدن، رغم معرفتها بخطورته على مصالح الولايات المتحدة في المنطقة، تعطيه مزيداً من الاعتبار حين تجلس معه على مائدة المفاوضات في فيينا لمنحه مزيداً من الوقت للوصول إلى مرحلة صناعة القنبلة النووية الخيار الوحيد له لمواصلة حياته في عالم التحديات والحروب الجديدة.

نظام طهران يعلم أنه غير قادر على مواجهة التطور العالمي الجديد في نمط الحروب الإلكترونية و التهديد بها، وهو ما زال يراوح في أنماط وأساليب حروب تقليدية معتقداً أنه من خلال استعراضات الأسلحة التقليدية قادر على التأثير النفسي على الولايات المتحدة ودول العالم المتقدم، الذي يعرف جيداً أنها محاكاة لأنماط عهود قديمة، وأن تأثيرها لا يتجاوز تأثير الجبهة المتخفية من الميليشيات، خاصة في المستقبل القريب.

يحاول نظام طهران التشبث بالوصول إلى بعض مفاصل التقنيات الإلكترونية لإشعار الأميركيين أنه موجود في الساحة عبر تجنيد عدد من الطلبة الإيرانيين في الولايات المتحدة لتنظيم حملات إلكترونية استهدفت بعض المواقع الرسمية الأميركية وحلفائها.

في سبتمبر الماضي تم توجيه لائحة اتهام إلى ثلاثة متسللين إيرانيين لسرقة معلومات مهمة حول تكنولوجيا الفضاء الجوي والأقمار الصناعية الأميركية. لقد استهدفوا العديد من الشركات داخل الولايات المتحدة وخارجها ونجحوا في اختراق الشبكات وسرقة معلومات حساسة. الرئيس الأميركي بايدن لديه ملفات النظام الإيراني في دعم القاعدة حيث ما زال قسم كبير من قادتها يحظون برعاية حكوم طهران ويديرون عمليات التنظيم الإرهابي من هناك، كما أن أيمن الظواهري ما زال محتبناً داخل الأراضي الإيرانية. كتبت الصحافية الأميركية باربرا ستار في تغريدة على تويتر أنه من غير الممكن تجاهل ما يجري، مضيفة أن طهران وبعد 10 سنوات على مقتل أسامة

في هذه الظروف والمعطيات يحاول نظام خامنئي محاكاة جيل حروب الأربعينات والخمسينات معتقداً أن هيمنته على العراق بمساعدة سياسة واشنطن وما تبعها في الهيمنة على سوريا المفككة واليمن المنقسم ولبنان الجائع واستخدامه النمط العقائدي في الحروب يجعله ذا اعتبار أمام

د. ماجد السامرائي
كاتب عراقي

أصبحت قصة الهيمنة على التجارة العالمية في القرن الحادي والعشرين هي مادة الصراع بين الولايات المتحدة والصين وليست الأيديولوجيا مثلما كانت عليه في القرن الماضي بين الاتحاد السوفييتي، حين حاصرت الولايات المتحدة في عقر داره عام 1990، لم تبق من نفوذه الشيوعي سوى زعامات أمنية استخباراتية استطاعت الوثوب إلى السلطة في موسكو ممثلة بالقيصر الجديد بوتن لتعاود القطبية الجديدة إلى جانب النمر الصيني.

مهما يقال عن تراجع الولايات المتحدة في زعامتها للعالم، لكنها تبقى ذات هيمنة كبرى ورائدة في ميادين التكنولوجيا العسكرية والمادية والمال. صيغ الهيمنة تحذت بقوة انسجاماً مع ثورة التكنولوجيا وعالم الرقمية. لم تعد أعداد الجيوش وترساناتها العسكرية الغلبة بعد دخول حروب القرصنة الإلكترونية وما يسمى بالحرب السيبرانية.

صحيح أنه في نهاية الحرب الباردة أواخر الثمانينات وبعد سقوط جدار برلين انتصرت الولايات المتحدة على الاتحاد السوفييتي من خلال طوابير الخبز في موسكو. لكن اليوم لا يي تستمر ذلك الانتصار الاستراتيجي الكبير ولا روسيا علاقة.. فالكبار تجتموا لبيد الصغار في الشعور الواهم أنهم كبروا في عالم جديد لم تعد فيه قيمة راجحة للجيوش وامتلاك القنابل ما عدا النووية التي تبقى واحدة من أهم عناصر الرعب في العالم.

على هامش محادثات فيينا بين طهران وواشنطن دعا وزير الدفاع الأميركي لويد أوستن إلى حشد التقدم التكنولوجي وتحسين دمج العمليات العسكرية على الصعيد العالمي "من أجل الفهم بشكل أسرع واتخاذ القرار بشكل أسرع والعمل بشكل أسرع. الطريقة التي سنقاتل بها في الحرب الرئيسية المقبلة ستبدو مختلفة تماماً عن الطريقة التي قاتلنا بها في الحروب السابقة".

الرئيس الأميركي جو بايدن يريد تفكيك أعمدة الجيل الرابع من حروب الشرق الأوسط عبر انسحاب قواته من أفغانستان ويليها العراق. لتتعاطى إدارته مع حرب الجيل الخامس التي دخلت بقوة، فيما يبقى السؤال قائماً: ما مصير المنطقة ومن ضمنها العراق أمام تصادي النظام الإيراني في إشاعة الفوضى والدمار.

في هذه الظروف والمعطيات يحاول نظام خامنئي محاكاة جيل حروب الأربعينات والخمسينات معتقداً أن هيمنته على العراق بمساعدة سياسة واشنطن وما تبعها في الهيمنة على سوريا المفككة واليمن المنقسم ولبنان الجائع واستخدامه النمط العقائدي في الحروب يجعله ذا اعتبار أمام